

# البعث

## هو الانبعاث من الداخل

ان نشوء حزب البعث هو نتيجة حاجة الى معالجة مشاكل الوطن العربي معالجة جذرية وكلية، وعلى أساس أن هذا الوطن يشكل وحدة وان شعبه يشكل امة. وان نقطة انطلاق المعالجة هي الامة نفسها، لا بمعنى تجاهل واهمال صلتها بالعالم، ولا بمعنى اعتبارها هي الغاية وكل ما سواها وسيلة لها، بل بقصد الاهتمام الى المعالجة الصحيحة والعميقة لمشاكل هذه الامة، معالجة تنبع من حاجاتها الخاصة ومن تفاعلها مع العالم، دون التقييد بأية نظرة مصطنعة تفرض من الخارج، سواء أكانت أممية طبقية او أممية دينية او أي شيء من هذا القبيل. لاعتقادنا بأن الحاجات الصادقة العميقة لأية امة، وخاصة لامتنا في وضعها الراهن ومرحلتها التاريخية الحاضرة، تتضمن بالضرورة الحاجة الى قيام تعاون متين الأسس وواضح الاتجاه بينها وبين الامم الاخرى، او بالأصح، قيام تعاون عالمي تكون هي جزءاً فعالاً فيه. واعتبرنا ان الانطلاق من الداخل الى الخارج هو الطريق الصحيح لا العكس، لأن تسخير الأمم والشعوب لنظام من فوقها ومن خارجها يبقى، الى حد بعيد، في العمل والتطبيق وفي الاوضاع الراهنة للعالم، ومهما تكن القيود والضوابط، تسخيراً لهذه الامم والشعوب لمصلحة اتجاه وظروف أمة معينة يتجسد فيها هذا النظام. وكان القصد من هذه النظرة ان نتجاوز وضع المسألة على شكل غاية ووسيلة

الى ما يوحد بأكثر قدر ممكن بين الغاية والوسيلة، فلا يعود أي شعب وأي بلد وسيلة  
لغيره او غاية تكون الشعوب والبلدان الاخرى وسائل له .

هذه النظرة مبررة بوضع الامة العربية في هذه المرحلة، اذ ان العدوان على  
حريتها وسيادتها ووحدها يأتي من الخارج، ومن الخارج ايضاً يُقدّم لها الحل  
«الثوري» الذي يدّعي انه يكفل لها استرداد سيادتها واستقلالها والتخلص مما ترزح  
تحتة من استعمار اجنبي وتخلف واستغلال . اي انه لا يحسب لارادتها حساب ولا لما  
تشرطه الثورة من تحريك عميق للقوى الذاتية .

وليس الأمر مقتصرأ على هذا الحد، اذ ان هناك فرقاً أساسياً بين صورة الثورة  
واسلوبها واهدافها، والمعاني الكثيرة التي تحملها عندما تكون نابعة من الداخل  
ونتيجة معاناة وتجربة كاملة، وبين صورتها عندما تفرض من الخارج وتستقى من  
تجربة أخرى مختلفة .

ان فكرة البعث تحاول ان ترتفع فوق كل من المنطق القومي المتعصب والمنطق  
الاممي المتعسف، فأولهما يجعل مصلحة الامة هي الغاية ويكون اهتمامه  
بالمشاكل العالمية بمقدار ماتمس هذه المشاكل مصلحة الامة فحسب . والآخر  
يتخذ من تحقيق الثورة العالمية غاية ومن المصالح الخاصة بكل امة وسائل لهذه  
الغاية . اما منطق البعث فهو يربط بين القومية والانسانية حتى لتكاد تصبح احدهما  
مرادفة للأخرى، فالانسانية لديه ليست شيئاً اعلى من القومية، وبالتالي فهو لا يعتبر  
القومية مرحلة مؤقتة .

ان مفهومنا معيناً للثورة العالمية يوحي بإهمال الحاجات الأساسية العميقة لكل  
امة بمفردها من أجل تلبية حاجات الثورة العالمية . واذا سمح بمعالجة مثل هذه  
الاحتياجات الضرورية والخاصة بكل امة في حدود قوميتها وظروفها الاجتماعية  
والفكرية، فان هذه المعالجة تتم على مستوى سطحي ومفتعل . وينتج عن هذا،  
ليس فقط ان تظل هناك احتياجات أصيلة في داخل كل امة لم تلب، وانما ايضاً ان  
يتناقض هذا المنطق مع نفسه بمعنى انه لا يحقق ما يدّعي انه يرمي الى تحقيقه من  
حيث انه منطق ثوري . فالعلاج الصحيح للمجتمع العالمي انما يكون بتلبية .

الحاجات الخاصة بكل امة وبمعالجة مشاكلها المعالجة المناسبة لها الناتجة عن ظروفها هي نفسها بكل تعقيداتها، وبهذا تغني كل امة بقية الامم نتيجة ممارستها لتجربتها الخاصة.

فالذي نريد ان نؤكده دوماً هو ان حركة البعث حركة قومية بمعنى انها من داخل الامة، ولهذا فهي تتمتع بحرية كبيرة لانها تستوحي افكارها وخططها من حاجات الشعب العربي . فهذا الموقف يعطيها قوة خاصة لأنها واثقة من تجاوبها مع حاجات الأمة ومع ظروف البلاد، ولثقتها هذه تتكلم وتعمل بجرأة وصراحة أكثر من أية حركة أخرى، ولا تحتاج الى التناقض أو التحولات المفاجئة بين حين وآخر. فهي اذن لعدم تقييد حريتها منذ البداية بحركة أو نظرة خارجة عن ظروف وحاجات الأمة العربية، أقرب بكثير الى الانسجام مع نفسها دوماً وأكثر جرأة في الاعلان عن اهدافها الثورية وفي اتباع الأسلوب الثوري المنسجم مع هذه الاهداف، وبالتالي في تحريك القوى الثورية للمجتمع لأنها ليست مشبوهة في نظر الشعب أو غريبة عنه.

وهذه القوة تمكنها من زيادة ثورتها، وزيادة صراحتها في العمل الثوري وبالاسلوب الثوري . اما الحركة التي لاتستطيع ان تكسب ثقة الجماهير ويبقى جمهورها محدوداً، فهي مضطرة اذن الى ان تداور وتوارب وتبتعد عن النهج الثوري، اي الى الظهور على غير ما تدّعي أنه حقيقتها.

فحركة البعث تقوم فعلاً على الوعي الشعبي، الذي هو اكبر قوة تستند اليها، لأنها منطقية مع نفسها ومع الشعب، في حين ان حركات أخرى لاتستطيع ان تعتمد كثيراً على الوعي الا في نطاق القلة الحزبية المنظمة والقادرة على ان تفسر اسباب البعد عن الصراحة والتكتم في الأهداف . . اما بالنسبة للجماهير الواسعة فيتعذر على هذه الحركات ان تشكل لها وعياً، نتيجة هذا البعد بين اهدافها البعيدة وأهدافها القريبة، بين ممارستها وبين نظريتها.